نشيد الهزيع

الكتاب: **نشيد الهزيع**
المؤلف: بدي ابنو المرابطي
الطبعة الأولى: 2020
عدد الصفحات: 72
القياس: 13 X 19
الإيداع القانوني: 2019MO4412
الترقيم الدولي: 978-9954-705-80-3

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

توزيع:
المركز الثقافي للكتاب
الدار البيضاء / المغرب
6، زنقة التيكر
هاتف: 212522810406+
فاكس: 212522810407+
markazkitab@gmail.com
بيروت / لبنان
الحمراء ـ شارع المقدسي ـ بناء بلبيسي
هاتف: 9611747422+
فاكس: 9611744733+

سلسلة آفاق أخرى

بدّي ابنو المرابطي

نشيد الهزيع

الهجائية

الصلاة الأخرى من صلوات المنفى الباريسي في آهاتي
الإنسية والجنية لألوان البرّ والبحر

المركز الثقافي للكتاب
للنشر والتوزيع

ظ

صديقةُ...

لـم يَبقَ لـي عدمٌ بعدُ قد يستفزُّ الغروبَ.

ولـم يَبقَ لـي عدمٌ آخرُ قد استظِلُّ به الـيومَ.

لـم يَبقَ لـي ما به قد أُأُمُّ الهروبَ.

دموعُ الصغيرِ اعترتْه،

وكيفَ يعودُ الصغيرُ

إلى بطنِ أمٍ

سباها الرحيلُ؟

وكيف سأشربُ من غيمةٍ ذرفَتْها

العيونُ البريئةُ؟

كيف سألـمسُ ثوبَ البراءةِ؟

حدَّثني الحزنُ أن البراءةَ شيءٌ جميل.

ع

صديقةُ...

قولـي قلـيلاً!

وردّي قلـيلاً!

فصمتكِ هذا يزيدُ العذاب.

سأشربُ رغمَ غيابِ الشراب،

سأشربُ هذا الغياب.

سأكتبُ يوماً،

أمامَ الخطوطِ الأخيرةِ،

أني شربْتُ الشراب،

لأنّيَ بعدَ الرحيلِ التقيتُ الرحيلَ،

لأنّيَ بعدَ السرابِ التقيتُ السّراب.

غ

صديقةُ...

ماذا ترينَ أمامكِ؟

ماذا ترين؟

فهذي التلالُ أمامكِ.

كلُّ الشواطئِ تبكي.

وضفةُ نهري أمامَكِ شابتْ من الحزنِ.

شبتُ أمامكِ.

نهري مع النهرِ غاض.

ونهري من الحزنِ غاض.

وغاضَ مع البحرِ بحرٌ.

وغاضتْ عيونُ الشواطئِ.

غاضتْ عيونُ التلال.

وغاضتْ عيونُ كلامي.

... سنيناً من الحزنِ،

فيها لبستُ دموعي،

وصرتُ أنيناً.

وغِضتُ.

هنا ازددتُ مما أنا هاهنا أو هناك،

وعدتُ،

فما زدتُ إلا حنيناً.

وغِضْنا مع النهر؛

لا ماء نشري رغمَ الرحيل،

ولا ماءَ يغسلُ بعضَ الدموع،

ولا ماءَ رغمَ الجموع،

ولا ماءَ... لا ماءَ.

نغرفُ من همِّنا النائحِ بين الضلوع.

"ولاتة" أكرهُها، في الأصيلِ الألـيم،

على النفي، قاضي

الـمدينة؛

أكرهها أن تكون بغيّاً.

وتلك الدموعُ، البكاءُ، السجونُ، الدماءُ.

وبعضُ الهوى مثلُ بعضِ ...

ف

صديقةُ...

ما كنتُ يوماً سأقبلُ.

هذا النخيلُ نخيلٌ من العهرِ صار.

أَأقبلُ أن تأكلَ الناسُ تمراً بغياً؟

وأن تُطردَ كلُّ الحقولِ من الأرضِ بغْياً؟

ق

صديقةُ...

حائرةٌ أنتِ فيّ.

أنا الحائرُ الفردُ.

أسألُ باريسَ عن هذه الأرضِ، تلك ...

ک

صديقةُ...

لولاكِ ما كنتُ أقبلُ هذي الـمساءات.

لكن أراكِ.

أراني.

وأذكرُ تلكَ التلالَ،

وتلك الشواطئَ.

أذكرُ تلكَ السجونَ.

وأُبصرُ دمعَكِ.

أُبصرُ دمعي.

وأَمضغُ حزني.

أبصرُ تلك النجومَ،

وتلك التلالَ،

وتلك الشواطئَ،

أُبصرُ هذا الرصيفَ،

وأُبصرُ نفسي.

وأبقى أمامكِ أنتِ،

فبعضُ الهوى مثلُ بعضِ ...

ل

صديقةُ...

حُباً...

على زمن الحُبِّ أكتبُ بعضَ حروفي.

وأكتبُ حرفَ انتهائيَ بدءاً.

وأَغرفُ من غيمةٍ عبرتْ بعضَ ماءِ،

لأزرعَ نفسي مع الفولِ والنخلِ،

أزرعُ نهراً جديداً،

وبحراً جديداً،

وعصراً جديداً،

وأبصرُ خلفَ انتهائي سنيناً من الحبِ، لـي

ولدتْ قصةً قد أكونُ بها،

إن أكن والهوى.

هل أكونُ ووجهي كوجهي يَصبُّ الطوى؟

وبعضُ الهوى مثلُ بعضِ ...

م

صديقةُ...

هذا الزمانُ يراودنا،

ويطارحُنا القهرَ.

كيفَ أسائلُ أهلَ القبيلةِ؟

كيفَ أسائلهم عن معاركها؟

عن حماها؟

وأهلُ القبيلةِ قد أشبهوا أهلها.

قتلوا بعضهم.

ثم للبعضِ قد طالبوا بعدَ حينٍ بثأرٍ.

وأهلُ القبيلةِ في كل وادٍ أراهم أمامي،

وقد صلبوني ولـم أكُ شُبِّهتُ،

ثم رموني ارتميتُ،

ولـم أرتفع عن حماهم ولكن أردتُ.

وأهلُ القبيلةِ يستجوبون: إلى مائهم هل وَرِدْتُ؟

ن

صديقةُ...

هل تبصرين وجودي وراءكِ؟

هل تبصرين وجوداً من الـملح؟

بحراً يسافحُ شطاً،

ونهراً مع اللـيلِ ضلَّ سبيلاً،

وهل يختفي بعضُ هذا النخيلِ؟

وتصبحُ وَاحَاتُ كلِّ النخيلِ

صريماً؟

ونبقى وحيدين، أنتِ وإياي،

نشربُ تحتَ ظلالِ الحقولِ،

وحيدين، شاياً،

ونأكلُ فولاً،

ونبصرُ طلحاً،

ونسمعُ ناياً يغازلُ نغمَ الرحيلِ،

وننسى هنالك ذاك اللظى.

وبعضُ الهوى مثلُ بعضِ ...

صديقةُ...

قد قلتُ للـيلِ من أنتَ فطالَ.

وقد قلتُ للبحرِ هل جئتَ فهالَ.

وقد قلتُ للنجمِ هل عدتَ فزالَ.

وأبصرتُ في اللـيلِ بدراً فمالَ.

وناديتُ أقصى البحار.

ركبتُ بموجِ الـمتاهةِ.

قلتُ، أمام الـمتاهةِ للبرق: لبيكَ!

في زمن السفرِ الفاجرِ قلتُ للبرقِ:

هل يشربُ في برقه "وَلَدُ امسيكَ"؟

وهل يسمعُ في الأرضِ نخلاً يردد:

لبيكَ سعديكَ؟

قالت نجومٌ تجيبكِ:

بعضُ الهوى مثلُ بعضِ.

و

صديقةُ...

لـيلاً...

تأَخَّرَ هذا الهزيعُ طويلاً.

وهذا الرحيلُ مع اللـيلِ يشربني في الهزيعِ مهيلاً،

وأهربُ عن نَفَسي،

أو أحاولُ أن أتركَ النفْسَ عني قلـيلاً.

فمأساةُ هذي التلال سَقتْ "ولدَامسيك"

سُماً وبيلاً،

فكيف أعبُّ على الغيبِ ماءَ زماني؟

وكيفَ أغادرُ نفسي؟

وكيفَ أمجُّ كياني؟

وأبقى وجوداً من الغيبِ،

أبقى صفاءً من الغيبِ يَشربُ كلَّ مكاني،

يقذفُ سرّي الغريبَ،

يصبُّ الهوى

في طريقي،

ويقتل ثانية

"كَبلاني"،

ويخبرُ أهلَ الـمدينةِ

بالسرِّ: "صندوقُ

وضاح يلهثُ

تحتَ الغواني!"؟

ي

صديقةُ...

هذا الـمكانُ أخيراً يسائلُ عنكِ.

وهذا الـمكانُ أخيراً، ينادي أخيراً،

ينادي علـيكِ.

أخيراً أحادثُ: تلك التلالَ،

وتلكَ الشواطئَ.

أنظُرُ عينيكِ والحزنَ.

أذكر أهلـي هناك،

وأسألُ عنهم هنا: هل لهذا الرحيلِ نِهاءُ؟

وهل سوفَ أسمعُ بعد الرحيلِ أحاديثَ

أمي؟

وهل سوفَ أجلسُ بعدَ الرحيلِ؟

فأهلـي هناكَ بعيداً يحبون أن يُنشِد

الـموج تحت النجوم.

أخيرا أمامكِ هذا الـمكان،

وهذا الزمانُ،

وهذا الهوانُ.

أخيراً صديقةُ، هلّا ابتسمتِ أخيراً!

وهلّا نظرتِ أخيراً!

وهلّا بكينا معاً آخرَ الليلِ!

هلا التحفنا الهزيعَ أخيراً!

أخيراً ... أخيراً ...

***

أعودُ إلى وهني

كلـما هدّني زمني.

وأصارحُ هذا الزمانَ بأني ندمتُ

على أنني قد وُلدتُ.

أوزّعُ نفسي على كل بحرٍ أرى

خلفه جُزُراً قد تُصور مأوى ووهماً.

وأنثرُ عند التلاقي بما لا أرى

حرقتي.

حاضري قد تأخرَ خلفَ الهمومِ

التي رسمتْني.

أراني هناك بعيداً

بنفسي اصطحبتُ.

أراني هناك فراقاً أليماً.

هناك عزلتُ مراتبَ نفسي.

ولستُ سوى حرقتي.

و كُلـما أتمنى التصابي،

أعدُّ الأقاصي التي بينها أتهادى...

وأذكر نفسي:

رحيلـي قعودٌ إلى

الفجرِ.

لا فجر.

أذكر نفسي:

عزائي الوحيدُ طريدٌ،

كَمِثلـي، يردّد، حيثُ

انتفى وانتهى، قصتي.

وهنا تحت ظلِّ النخيلِ الذي قد

تهاوى أسائلُ لـيلى عن الخيلِ والليـلِ.

لـيلَى تكفكفُ بعضَ الدموعِ.

وتنظرُ نحوي طويلاً.

هنا ضاعَ كلُّ النخيلِ.

وعمريَ ضاع.

وضاعَ الرحيلُ.

هنا لـم أكن أبدا.

وهنا هل أكون؟

أخيراً أصافحُ نغمَ الرياحِ التي قد أقلَّتْ

غيابي.

ونَغْمُ الرياحِ يطاردُ حلـمي.

وأَذكرُ لـيلَى.

وأُنكرُ حلـمي.

أرتِّلُ بعدَ الرقادِ حديثَ الرحيلِ،

وقصةَ نفسي.

***

أخيرا...

***

أعودُ إلى وهني

كلـما هدّني زمني.

أختفي في جراحي التي طَمرت

بعضها.

أنحني بعدما أنحني.

أرتوي من صدى مِحني.

***

قصتي:

منذ عهدٍ رأيتُ جراحي

تُباعَ جهاراً...

رأيتُ صفاتي العقيمةَ

تُنجبني دمعةً تتهادى،

طويلاً هناك أمامَ امّحائي.

وأبصرتُ نفسي هناكَ

بعيداً

بلا زمنٍ،

وبلا بلدٍ،

وبلا كفنٍ.

لـم أحِدْ عن طريقِ الرعودِ التي تشتهي

حسرتي.

ولأني هنا قد سكبتُ وجودي على

ضفةِ الـمستحيلِ الـمرابطِ

فوق الجراحِ فإني هنا قد وقفتُ.

***

هنا وجعي يصطفيني خلـيلاً

ونبحر، هو وإياي،

بين عبابِ امّحاءِ البحارِ.

هنا أو هناك أسافرُ بين ضفائرِ حلـم تقاذفه

الـموجُ قِدْماً،

وأضربُ في الأرضِ صدحاً،

وأجلس وحدي مساءً أمامَ بيوتي القديمة،

في ظلِّ غصنٍ،

أنادمه قبل أن يُنفخَ الصورُ،

أسأله:

والذين قضوا نحبهم هاهنا؟

والذين لقوا حتفهم قبلهم هاهنا؟

والذين بكوا بعدهم كلَّهم هاهنا؟

والدموع التي أمطرتْ جمعهم

حولهم هاهنا؟

والحمامُ الذي أنشَد الليلَ

في دفنهم فوقهم هاهنا؟

والـيتامى الذين اقتفوا

حزنَهم خلفهم هاهنا؟

وغنّى لـي الغصنُ صمتاً،
وغنّى ثلاثاً أخيراً لـينفخَ الصورُ.
غنّى أخيراً لأمضغَ حزني،
أخيراً...

فبعضُ الهوى مثلُ بعضِ.

باريس ــ فاتح مارس

1997